منهج القرآن الكريم في تقديم الوسائل التعليمية من خلال آيات القصص - دراسة قرآنية تربوية

The Holy Qur'an Approach to Identifying Instructional Technology Through Story Verses: An Educational Quran'ic Study

زكريا الخضر*، وعبدالرؤوف بني عيسى، وانتصار مصطفى*****

Zakaryia Al- Khader, Abd' ALra'ouf BanyIssa & Intisar Mustafeh

*قسم أصول الدين، كلية الشريعة، جامعة اليرموك. **قسم المناهج والتدريس، الجامعة الاردنية. ***قسم التربية الابتدائية، كلية التربية، جامعة اليرموك

بريد الكتروني: banyiesa@yahoo.com

تاريخ التسليم: (٢٠١٠/٢/٢٢)، تاريخ القبول: (٢٠١١/١/٢٦)

ملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان منهج القرآن الكريم في تقديم الوسيلة التعليمية من خلال آيات القصص القرآني، حيث اشتملت آيات القصص على جوانب ووسائل تعليمية مهمة يمكن الإفادة منها في العملية التعليمية. وقد عمل الباحثون على دراسة هذه الآيات الشريفة وتحليلها تحليًلا علميًا من خلال آراء المفسرين، واستنبطوا الوسائل التعليمية منها، فوجدوها على نمطين: - وسائل إرشادية توجيهية. - وسائل إثباتية برهانية. وقد قام الباحثون بدراستها وبيانها.

Abstract

This study aimed at exploring the Holy Qur'an approach to presenting instructional technology through story verses. It further aimed to explore the kinds of instructional technology that have been demonstrated in the story' verses through analyzing the interpretation of the verse and the Islamic scholar explanation. The result revealed that there are two main kinds of instructional technology in the Holy Qur'an story verses: the first guiding and leading, while the second is confirming evidence. Based on the findings, a number of suggestions were put forth.

المقدمة

فإن القرآن الكريم حفل بالموضوعات التربوية والنفسية، التي تربي النفس الإنسانية، وتسمو بجوانبه الأخلاقية والروحية، ومن جملة هذه الموضوعات :الوسائل التعليمية التي تهدف إلى تعليم المخاطب والرقي بمعرفته، والمضي به قدمًا تجاه تقويم السلوك وتعديله على أوفق مناحي التقويم.

إن الوسيلة التعليمية تعد مصدرا من مصادر التعلم وأداة فعالة من أدواته كما بينت ذلك نتائج البحوث والدراسات الكثيرة التي اجريت في هذا المجال، وعلى سبيل المثال فقد قام مطاوع (١٩٧٧) بدراسة تبين أهمية الوسائل التعليمية وإنتاجها كحل من حلول أزمة التربية ووسائل التغلب عليها عن طريق التحليل العميق لهذه الأزمة والخروج ببعض الاقتراحات حول ابتكار واستخدام وسائل تعليمية جديدة تستطيع بسهولة تعليم أعداد أكبر من الطلاب.

ومن الدراسات التي أكدت على ضرورة إنتاج وإعداد الوسائل التعليمية وأهميتها شايب (١٩٨٧) حيث بين أهمية وكيفية اعداد بعض الوسائل التعليمية. وتأكيداً على أهمية إستخدام الوسيلة التعليمية والإتجاه الإيجابي نحو إستخدامها، قام رضا (١٩٨٨) بدراسة هدفت الى بيان خصائص الإتجاه والمقارنة بينه وبين سلوك أعضاء هيئة التدريس نحو الوسائل التعليمية في كليتي التربية بجامعتي البصرة وقاريونس. وقد شملت عينة الدراسة ٢٥ عضو هيئة تدريس في كل من الكليتين، واستخدمت الاستبانة كأداة للدراسة، واستخدم مقياس ليكرت لقياس الاتجاه نحو الوسائل، بالإضافة الى أسئلة عن العوامل المرتبطة بإستخدام الوسائل التعليمية. وقد ابرزت النتائج الإتجاه الإيجابي لأعضاء الهيئة التدريسية نحو إستخدام الوسائل التعليمية.

ومن الدراسات التي إهتمت بكيفية اختيار الوسيلة التعليمية المناسبة دراسة ابو جابر (١٩٩١) التي هدفت إلى بيان كيفية اختيار الوسيلة التعليمية المناسبة لموقف تعليمي محدد. ودراسة السيد (٢٠٠٢) كذلك هدفت إلى بيان أهم الأطر الأساسية في مصادر الوسائل التعليمية ومعايير اختيارها وإستخدامها.

وأجرى طوالبة (٢٠٠٠) دراسة هدفت إلى التعريف بالوسائل التعليمية في كل من الكتاب والسنة وكتابات بعض من العلماء المسلمينن خلال تحليل محتواها في ضوء مفهوم الوسائل التعليمية وأنواعها المختلفة. وقد كشفت الدراسة عن أنواع الوسائل المستخدمة في كل من القرآن والسنة مثل: الرسومات التوضيحية، وضرب الأمثال،...الخ. وتتوزع هذه الوسائل على جميع أقسام مخروط الخبرة لـ "إدجار ديل". وغطت هذه الدراسة الوسائل المستخدمة منذ آدم - عليه السلام - ومروراً بإبراهيم وموسى وعيسى وختاماً بمحمد – عليه الصلاة والسلام- إيماناً بشمولية الدين الإسلامي لكافة البشر. وإختتمت الدراسة بأهم ما توصلت إليه من نتائج وقدمت عدة توضيحات تؤكد إهتمام المربين المسلمين بتراثهم، وبأهمية إستخدام الوسائل التعليمية إمتثالًا لدعوة الله ورسوله وإتباعًا لنصائح المربين المسلمين.

وقد إشتركت هذه الدراسة مع الدراسات السابقة في تعريف الوسائل التعليمية والتأكيد على أهميتها في التعليم، وتميزت عن غيرها بأنها تناولت آيات القصص القرآني بالتحليل وإستنباط الوسائل التعليمية الواردة فيها، ثم تصنيفها إلى وسائل تعليمية إثباتية ووسائل تعليمية إرشادية.

وقد اهتمت هذه الدراسة بإبراز الوسائل التعليمية من خلال القصص القرآني، حيث ظهرت الوسائل التعليمية على نمطين مهمين :

أ. الوسائل التعليمية الإرشادية التوجيهية التي تهدف إلى التوجيه والإرشاد.

ب. الوسائل التعليمية الإثباتية البرهانية التي تهدف إلى إقامة الدليل على قضية معينة.

وقد عمل الباحثون في هذا المقام على تحليل آيات القصص القرآني المشتملة على هذه الوسائل، ودراستها دراسة قرآنية تربوية، واستنتاج الجوانب التعليمية التي اشتملت عليها تلك الآيات الكريمة.

وقد اقتضت طبيعة البحث العلمي أن يقسم هذا البحث إلى مقدمة و تمهيد و مبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

التمهيد: تعريف الوسائل التعليمية، وبيان أهميتها وأهدافها، وفيه مطلبان هما:

المطلب الأول: تعريف الوسائل التعليمية.

المطلب الثاني :أهمية الوسائل التعليمية وأهدافها.

المبحث الأول: الوسائل التعليمية الإرشادية الموجهة في آيات القصص، وفيه سبعة مطالب هي:

المطلب الأول : قصة ابني آدم.

المطلب الثاني : قصة إبراهيم –عليه السلام-في إثبات الإله الحق.

المطلب الثالث : قصة نتق الجبل فوق بني إسرائيل.

المطلب الرابع : قصة يوسف –عليه السلام- في جعل السقاية في رحل أخيه.

المطلب الخامس : قصة صاحب الجنتين.

المطلب السادس : قصة سيدنا موسى -عليه السلام- مع العبد الصالح.

المطلب السابع : قصة سيدنا إبراهيم-عليه السلام- وتحطيم الأصنام.

المبحث الثاني: الوسائل التعليمية الإثباتية والبرهانية في آيات القصص، وفيه أربعة مطالب هي:

المطلب الأول : قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت.

المطلب الثاني : قصة الذي مرّ على قرية وهي خاوية على عروشها.

المطلب الثالث : طلب سيدنا إبراهيم من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى.

المطلب الرابع : قصة أهل الكهف وبعثهم بعد نومهم.

الخاتمة : وفيها أبرز نتائج البحث.

تمهيد: تعريف الوسائل التعليمية وبيان أهميتها

المطلب الأول: تعريف الوسائل التعليمية

هناك عدة تعريفات للوسائل التعليمية لتحديد مفهومها ومدلولها.

فقد عرفها محمد علي السيد بأنها: (كل ما يساعد المعلم على تبسيط الرسالة لطلابه وتشويقهم) (السيد، ١٩٧٩، ج١، ص٢٦).

وقد عرفها محمد زياد حمدان بأنها: (وسائط تربوية يستعان بها لإحداث عملية التعلم) (حمدان، ١٩٨١، ص ٣١).

وهناك تعريف آخر لها، وهو: (أنها مجموعة أجهزة وأدوات ومواد يستخدمها المعلم لتحسين عملية التعليم والتعلم؛ بهدف توضيح المعاني وشرح الأفكار في نفوس التلاميذ) (الطوبجي، ١٩٨٤، ص ٤٤-٤٥).

وفي موضوع الدراسة فإن التعريف الإجرائي للوسائل التعليمية التي تضمنها القصص القرآني هو أنها: أدوات تستخدم كمصادر للتعلم اشتمل عليها القصص القرآني، وتحدد إجرائيًا من خلال تحليل الآيات القرآنية التي اشتملت على هذه الأدوات.

المطلب الثاني: أهمية الوسائل التعليمية وأهدافها

للوسائل التعليمية دورٌ هادفٌ وبنَّاءٌ في توضيح الأفكار، وبيان المهمة التعليمية، وهي تهدف لتحسين عملية التعلم والتعليم، وتعمل على إثارة اهتمام الدارسين وانتباههم، وتنمي فيهم دقة الملاحظة، ويمكن بيان أهمية هذه الوسائل التعليمية وأهدافها على النحو الآتي:

١. تساعد على استثارة اهتمام التلميذ وإشباع حاجته للتعلم، حيث يأخذ التلميذ من خلال استخدام الوسائل التعليمية المختلفة بعض الخبرات التي تثير اهتمامه وتحقق أهدافه (قسطندي، ١٩٨٣، ص١٣).
٢. تساعد على زيادة خبرة التلميذ، مما يجعله أكثر استعداداً للتعلم (سلامة، ١٩٩٦، ص٢٥٥).
٣. إن اشتراك جميع الحواس في عمليات التعلم يؤدي إلى ترسيخ هذا التعلم وتعميقه. (سلامة، ١٩٩٦، ص ٢٥٥).
٤. تساعد على فهم الأشياء وعلاقتها مع بعضها، وكذلك تساعدها على تنظيم تفكير المتعلم في مواقف تعليمية أو حياتية أخرى (السيد، ١٩٧٩، ج١، ص٢٩).
٥. الوسائل السمعية والبصرية أسهل في فهمها وتعلمها من الشرح اللفظي (المصراتي، ١٩٩٧، ص١٧٤).

وبذلك يظهر أن الوسائل التعليمية ذات أثرٍ فاعلٍ في إكساب الطالب خبرةً تعليمية، وتضاعف في استيعابه، وترسخ الفكرة في ذهنه بشكلٍ أفضل من مجرد الشرح النظري.

المبحث الأول: منهج القرآن الكريم في تقديم الوسائل التعليمية الإرشادية الموجهة

عند النظر في قصص القرآن المجيد، يظهر أن القرآن الكريم يقدم صورًا من التعليم العملي، وهذا التعليم الذي له وجود متحقق في الخارج ظهر على نحوٍ من الطرق أو الوسائل التي يصل بها الحدث إلى غايته المطلوبة، وقد تمثل ذلك بنوعين من الوسائل التعليمية:

أ. الوسيلة التعليمية الإرشادية، التي توجه السلوك وترشد إلى الطريق الأمثل في سلوك الطريق المراد لفت النظر إليه.

ب. الوسيلة التعليمية الإثباتية (البرهانية): التي يثبت من خلالها للمخاطب برهان أو دليل على شيء أراده، أو دليل على خلاف ما اعتقده أو ما ساوره الشك بشأنه.

وهذه الدراسة ستتناول هذين النوعين من الوسائل، وسنستخلص الجوانب التعليمية والتربوية، التي تتضمنها الآيات الكريمة التي جاءت فيها هذه الوسائل التعليمية.

إن القرآن الكريم يعرض وسيلة تعليمية تهدف إلى إرشاد المخاطب وتوجيهه للتصرف الصحيح، أو الإقلاع عن سلوك غير مرغوب به، وحين يعرض القرآن هذه الوسيلة تتمكن في النفس فضل تمكُّن؛ لأنها اتخذت طابعًا عمليًا يلمسه الإنسان في حياته، ويشعر به في حيز الزمان والمكان، وهذا عرض لقصص قرآنية ظهرت فيها هذه الوسيلة التعليمية الإرشادية الموجهه، للنظر فيما احتوته من قضايا تربوية في هذا الإطار.

المطلب الأول: قصة إبني آدم

قال – تعالى-: {**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ {٣٠} فَبَعَثَ اللّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**}.[المائدة: ٣٠ -٣١].

في هذه الآيات الكريمة يخبر الله- تعالى- عن شأن إبني آدم اللّذين قرّبا قربانًا فتُقبِّل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فعزم هذا الآخر على قتل أخيه، وبعد أن طوّعت له نفسه، وسوّلت له أمر القتل نفّذ ما عزم عليه، ثم ترك أخاه بالعراء لا يدري ما يصنع به، وهنا يرشد الله – تعالى- إلى أمر الدفن، قال السيوطي: (هذا أصل في دفن الميت) (السيوطي، ١٩٨٠، ص ١١٠)، وأن على هذا القاتل دفن المقتول؛ لتكون سنَّة الدفن سارية إلى أن يرث الله- تعالى- الأرض ومن عليها، وكان هذا الإرشاد بوسيلة عملية تعليمية أدارت الذهن، وحركت العقل والوجدان، حيث بعث الله- تعالى- غرابًا يبحث في الأرض بمنقاره ورجليه؛ ليعلمه أن هذه السوءة -أي جسد الميت- ينبغي أن يدفن، وأن يُكرم بمواراته الثرى، قال أبو السعود: (روي أنه –تعالى- بعث غرابين فاقتتلا، فقتل أحدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه حفرةً فألقاه فيها). (أبو السعود، ١٩٩٤، ج٣، ص ٢٨ بتصرّف).

وقد ربط القرآن بين هذه القصة وما سيقت لأجله {**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا**} [سورة آل عمران: آية ٣٢].

وهذا (شروع فيما هو المقصود من تلاوة النبأ من بيان بعض آخر من جنايات بني إسرائيل ومعاصيهم، وذلك إشارة إلى عظم القتل وإفراط قبحه المفهومين مما ذكر في تضاعيف القصة من استعظام هابيل لـه، وكمال اجتنابه عن مباشرته، وإن كان ذلك بطريق الدفع عن نفسه واستسلامه لأن يقتل خوفًا من عقابه، وبيان استتباعه لتحمل القاتل لإثم المقتول، وكون قابيل بمباشرته من جملة الخاسرين دينهم ودنياهم، ومن ندامته على فعله مع ما فيه من العتو وشدة الشكيمة وقساوة القلب) (أبو السعود، ١٩٩٤، ج٣، ص ٢٩).

لقد كانت هذه القصة القرآنية مرتبطة بغاية وهدف من الإخبار بها، خصوصاً هذه الوسيلة الملفتة للنظر، التي تدعو للتعجب والتفكر، ولا شكَّ أنَّها ترسخ في الذهن مفهوم إكرام الإنسان، وبيان قيمته عند الله- تعالى-، فهو محفوظ عنده في حال حياته وفي حال مماته، وتنفّر من القتل ظلمًا.

وقد رسخت هذه الوسيلة العملية التعليمية هذا المفهوم من جهتين:

أ. أنها صورته بصورةٍ عمليةٍ تطبيقيةٍ تجعل المخاطب يلمس الحدث كأنه واقع أمامه الآن، وفي هذا تقريبٌ للفكرة إلى الأذهان.

ب. ب- ربط الوسيلة بالغاية والهدف بطريق تداعي المعاني؛ فإن مفهوم القتل والرفض إذا ذكر على مسمع الإنسان، فإنه سيتذكر الوسيلة التي اقترنت بهذا الشيء اقتراناً شرطياً، مما يزيد من تنفير الإنسان من هذه الجريمة البشعة.

وهذا خير توجيه للسلوك، وأفضل إرشاد في موضعه.

ويمكن الإفادة من هذه الوسيلة التعليمية تربويًا بواسطة تفعيل الخبرات السابقة، (فإن من مقومات الوسيلة التعليمية الناجحة أن تربط الخبرات السابقة بالخبرات الجديدة، وأن تساعد على استنباط خبراتٍ جديدةٍ) (السيد، ١٩٧٩، ج، ص ٤٥).

المطلب الثاني: قصة إبراهيم – عليه السلام-في إثبات الإله الحق.

قال – تعالى-: {**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ** {٧٦} **فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ** {٧٧} **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ** {٧٨} **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} {الأنعام: ٧٦-٧٩}.

في هذ الخبر وسيلة عملية توجيهية يقدمها سيدنا إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لتصحيح الخطأ وتصويب المفاهيم، وهي طريقة لتحريك الفكر وتقليب النظر في واقع الحال، وقد استخدم هذه الوسيلة التعليمية على وجه التنزُّل للخصم ليصل المخاطب إلى قناعةٍ تامةٍ بضرورة تغيير الوضع المخطوء، فقد اختار وقت هذه الوسيلة: وهو الليل؛ لأن مادة الوسيلة هي الكواكب التي تظهر في الليل للعيان، {**فلمّا جنَّ عليه الليل وأظلمَ رأى كوكبًا مضيئًا فقال: (هذا ربي)** فهلمَّ ننظر هل يستحق الربوبية؟ فإنه لا ينبغي لعاقلٍ أن يتخذ إلهه هواه، فلمَّا غاب ذلك الكوكب (قال لا أحبُّ الآفلين)، فإن المعبود لا بدَّ أن يكون قائماً بمصالح من عبده فأما من يمضي وقت كثير وهو غائب، فمن أين يستحق العبادة؟ وهل اتخاذه إلهاً إلا من أسفه السّفه، وأبطل الباطل؟) (السعدي، ١٩٩٩، ص٢٢٤).

إن هذه الوسيلة جاءت في مقام المناظرة وإقامة الحجة على قوم مشركين، فالهدف منها: الإرشاد إلى الطريق الصواب – وهو التوحيد الخالص - من خلال ظاهرة كونية هي غياب الكوكب أو النجم بعد ظهوره، وهذا من لوازم النقص والحدوث، والإله الحقُّ لا يلحقه نقص، (والنظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً من هذه الكواكب ليس بإله؛ لقيام دليل الحدوث فيها، ولأن لها محدثًا أحدثها، ومدبِّرًا دبَّر طلوعها، وأفولها، وانتقالها، ومسيرها، وسائر أحوالها) (النسفي، ١٩٩٥، ج١، ص٣٧٣ بتصرّف).

إذن اختار سيدنا إبراهيم – عليه السلام - هذه الوسيلة؛ لأنها أقرب إلى تحقيق المقصود، وأقرب إلى عقولهم، وعلى هذا فإن المطلوب في اختيار الوسيلة ما يلي:

أ. وفرة الأدوات، وارتباطها بالبيئة لتؤثر بشكل فاعل في إيصال المعلومات.

ب. تناسبها مع العقول، فإن مراعاة المستوى العقلي للمتعلم مطلب تربوي ملحّ.

ج. أن تحقق الغاية المرجوَّة من إجرائها، على معنى أن توضح الوسيلة الهدف ببيان منطقي غير قائم على الإحتمالات الكثيرة التي ربما تفقد الوسيلة قيمتها العلمية.

د. اختيار الوقت والمكان المناسبين لتوضيحها وبيانها، وهذا ما يمكن تسميته بظروف التعلم، ويُعنى بها :(كل العوامل والظروف التي يمكن أن تؤثر في قدرة الفرد على التركيز، وفهم المعلومات وتذكرها) (سلامة، ١٩٩٦،ص ١٢٥).

وهذا ما عالجته الوسيلة التي قدمها سيدنا إبراهيم - عليه السلام - لقومه.

وهنا تعقب الوسيلة التعليمية التي قدمها سيدنا إبراهيم – عليه السلام - تساؤلاتٌ ومحاجَّةٌ: {**وَحَآجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللّهِ وَقَدْ هَدَانِ**} [سورة الأنعام: ٨٠].

وعلى هذا، فإن الوسيلة التعليمية تعقبها مناقشات وتتخللها الملاحظات، وربما قام حولها جدل علمي، وقد لفت القرآن النظر إلى أن هذه الوسيلة أداة تميّز، ومقياسٌ من مقاييس رفع الدرجات: {**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ**} [سورة الأنعام: ٨٣].

(والمفاضلة في المباحث الدراسية متوافرةٌ في شتى موضوعاتها؛ لتعددها واتساعها، إذ يستطيع المتعلم أن يختار من دروس المعرفة عن طريق المفاضلة بين الدروس، وذلك بحسب قدراته واستعداده) (أبو شريخ،٢٠٠٥، ص١٤٧).

والحكمة والعلم يضبطان عمل هذه الحجة أو الوسيلة الإرشادية، قال البيضاوي معلقًا على قوله –تعالى-: {**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**} {**وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم**} إشارة إلى ما احتج به إبراهيم على قومه من قوله: {**فلما جن عليه الليل**} إلى قوله: {**وهم مهتدون**} أو من قوله: {**أتحاجوني**} إلى {**حجتنا آتيناها إبراهيم**} أرشدناه إليها أو علمناه إياها (على قومه) متعلق بحجتنا إن جعل خبر (تلك)، وبمحذوف إن جعل بدله؛ أي: آتيناها إبراهيم حجةً على قومه {**نرفع درجات من نشاء**} في العلم والحكمة، وقرأ الكوفيون ويعقوب بالتنوين (القاضي، البدور الزاهرة، د.ت، ص١٠٦) {**إن ربك حكيم**} في رفعه وخفضه (عليم) بحال من يرفعه واستعداده له) (البيضاوي،١٩٩٩،ج١،ص٣٠٩).

المطلب الثالث: قصة نتق الجبل فوق بني إسرائيل.

قال – تعالى-: {**وَإِذ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**} (الأعراف: ١٧١).

يخبر الله - تعالى- عما كان من شأن بني إسرائيل الذين وقع منهم تساهل في أمر دينهم، وتلاعبوا في تطبيق شرع الله- تعالى-، (فرفع فوقهم الجبل حتى أظلّهم كالسحابة في السماء، ولم يعد هناك شك أو ريب في أنهم هالكون، فأيقنوا أنهم مأخوذون بالعقوبة) (البغوي، معالم التنزيل، ١٩٩٧،ج٣،ص٢٩٧)، والظن في قوله – تعالى-: {**وظنوا أنه واقع بهم**} بمعنى العلم، أي (علموا وأيقنوا، وقال أهل المعاني: قوي من نفوسهم أنه واقع بهم إن خالفوه، وهذا هو الأظهر في معنى الظن) (الرازي، د.ت).

والسياق هنا سياق تهديد ووعيد، والوسيلة التي هدد بها هؤلاء القوم هي الوسيلة المادية، والهدف منها التربية والارعواء (من ارعوى عن القبيح إذا رجع، ابن فارس،ج٢، ص٣٣٧) والعودة إلى الصواب، ولكن لماذا استخدمت هذه الوسيلة بالذات؟ والجواب: لأن إطباق الجبل المرتفع عليهم من فوقهم - وهم تحته - يدل على الإحاطة بهم من جميع جوانبهم، فلا يفلت منهم أحد، وهذا ادعى إلى استقرار الخوف في قلوبهم، وبيان أن لا مجال للهرب، فالذهول يأتيهم من كل مكان، فالوسيلة المناسبة هنا هي ما به الإحاطة والتقييد، وعلى هذا، فالوسيلة الإرشادية التربوية هنا هي الأنسب، وهي تجسد المشاعر الوجدانية وعلامات القلق والاضطراب، وتكشف عن خلجات القلوب، وتحرك الدوافع نحو الهدف المنشود من إنشائها وعملها، والوسيلة - كما يلاحظ هنا تتناسب مع نفسية المخاطبين، فهي عنصر فاعل في التربية النفسية؛ فجاءت هذه الوسيلة على وجهةٍ تربوية تعيد صقل النفوس وتهذيبها، فالوسيلة التعليمية لا بد فيها من مراعاة التفكير الإنساني والجوانب النفسية.

وهذه الوسيلة العملية للإقناع والإرشاد تقابلها وسيلة أخرى مع القوم أنفسهم، وهذه التي أفصحت عنها الآية الكريمة: {**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ {٥٥} ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**} (البقرة: ٥٥-٥٦).

فوسائل الإقناع تتعدد، ووسائل الإرشاد تختلف من بيئة لأخرى، ومن تفكير لآخر، ومن إحساس معين إلى غيره، وهذا لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار في تحقيق الوسيلة التعليمية.

ومع تنوع الوسائل في هذا الجانب، تجد توالي الوسائل، وترى وجود الوسائل البديلة المغايرة المختلفة، فهناك وسيلة تعليمية تحقق هدفًا خاصًا، وهناك وسيلة تحقق هدفًا عامًا، وهناك وسائل عامّة شاملة تتناسب مع شرائح المجتمعات ومستويات التفكير جميعًا.

والقرآن هنا يرشد إلى ضرورة التكامل بين الوسائل التعليمية المتنوعة، (وعلى ذلك يجب التأكيد على أن الطريقة التي يستخدمها المعلم، والوسيلة التي يختارها للموقف التعليمي إنما تعملان على نحو متكاملٍ لبلوغ أهداف الدرس، بل ربما تكون الوسيلة خيرًا من كثيرٍ مما يلقيه المعلم على مسامع المتعلمين) (المصراتي، ١٩٩٧، ص٣٥).

والقرآن الكريم يعالج هذه القضايا بالوسائل التعليمية المتنوعة، والمتوالية في بعض الأحيان؛ وصولًا إلى الغايات المطلوبة، كما في توالي الوسائل التعليمية لبني إسرائيل؛ فقدّمت وسيلة الغراب الذي يبحث في الأرض؛ تعليمًا لهم {**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ**} [سورة المائدة: ٣١]،وقدّمت لهم الوسيلتان اللتان تحدثنا عنهما آنفًا.

وفي قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، وطلب سيدنا إبراهيم – عليه السلام - من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، عرض القرآن لوسيلتين تعليميتين متواليتين تحقيقًا وتأكيدًا لجانب البعث والقدرة الإلهية على إحياء الموتى، ومن هنا فإنه كلما كثرت الوسائل التعليمية وتنوعت في معالجة مسألة معينة، أدّى ذلك إلى رسوخ تلك المسألة في الذهن.

فالمطلوب إذن كثرة الوسائل حول الجانب النظري، واختيار نوعية الوسيلة مع تنوعها وتمايزها عن غيرها؛ لتؤتي أكلها وتعطي نتائجها من أكثر من طريق، وبذلك تتأكد النتائج في النفس والعقل.

المطلب الرابع: قصة يوسف – عليه السلام - في جعل السقاية في رحل أخيه.

قال - تعالى-: {**فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُون{٧٠} قَالُواْ وَأَقْبَلُواْ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ {٧١} قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ {٧٢} قَالُواْ تَاللّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ {٧٣} قَالُواْ فَمَا جَزَآؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ {٧٤} قَالُواْ جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {٧٥} فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاء أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاء أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**} (يوسف: ٧٠- ٧٥).

في هذا الموقف يستخدم النبي يوسف -عليه السلام- أسلوبًا ذكيًا من باب الحيلة العملية؛ ليستبقي أخاه عنده، ريثما يذهب إخوته إلى والدهم لإخباره بالأمر؛ لعلهم يتفكرون في هذا الشأن، ويتفطنوا بطريق إعمال الذهن إلى أن هذا العزيز قد عمل هذا الصنيع لحكمة وغاية لاحتجاز أخيهم، وهذا التفكير ربما يوصلهم إلى التفكر في شخصية هذا العزيز، فيعرفوا أن له بهم صلةً بهم، وهذا ما أحسه يعقوب -عليه السلام-: **{يَا بَنِيَّ ادْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ}** (يوسف: ٨٧).

وهذا عين ما قصده يوسف - عليه السلام - عندما جعل إخوته يكتشفون ذلك: **{قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ {٨٩} قَالُواْ أَإِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي}** (يوسف:٨٩-٩٠)، وهذه الوسيلة تعليمية إرشادية، تنبه إخوته إلى أمرٍ حصل معهم في ما مضى؛ حيث أخذوا يوسف وباعوه إلى عزيز مصر.

وفي هذا الموقف جعل يوسف -عليه السلام- السقاية (الذي يشرب به الملك) في رحل أخيه، ثم نودي أن هناك سرقة حصلت في المدينة، وجرى البحث بأوعية الإخوة، ونُقّب عن المتاع الذي سرق، ثم عُثِرَ عليه أخيراً في رحل الأخ الأصغر، وبهذه الطريقة استبقى يوسف –عليه السلام- أخاه عنده.

وقد ارتبطت هذه الوسيلة العملية بهدفها **{كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ}** [يوسف: ٧٦.]

أي: ((كدنا ليوسف) صنعنا له، ودبرنا لأجل تحصيل غرضه من المقدمات التي رتبها من دس الصواع وما يتلوه، **{ما كان ليأخذه أخاه في دين الملك}** استئناف وتعليل لذلك الكيد وصنعه، لا تفسير وبيان له كما قيل، كأنه قيل: لماذا فعل ذلك؟ فقيل: لأنه لم يكن ليأخذ أخاه بما فعله في دين الملك في أمر السارق، أي في سلطانه، قاله ابن عباس، أو في حكمه وقضائه قاله قتادة إلا به؛ لأن جزاء السارق في دينه إنما كان ضربه وتغريمه ضعف ما أخذ دون الاسترقاق والاستعباد، كما هو شريعة يعقوب -عليه السلام- فلم يكن يتمكن بما صنعه من أخذ أخيه بالسرقة التي نسبها إليه في حال من الأحوال) (أبو السعود، ١٩٩٤، ج٤، ص٢٩٦-٢٩٧ بتصرّف).

وهذه عند علماء الفقه والأصول تسمى حيلًا شرعية، إذ (فيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل، إذا لم تخالف شريعةً ولا هدمت أصلًا) (ابن العربي،١٩٦٧،ج٣، ص١١٠٠؛ السيوطي،١٩٨٠م، ص١٥٥-١٥٦).

والحيل الشرعية هي: (التوصل إلى مباح، واستخراج الحقوق بالطرق الخفية) (ابن القيم، ١٩٧٣، ج٣، ص ٢٤٢).

وعلى هذا، فإن ما قام به سيدنا يوسف - عليه السلام - وسيلة تعليمية عملية يهدف منها إلى تحقيق الغرض المطلوب، ومن هنا فإن الوسيلة التعليمية ينبغي أن تنظر إلى تحقيق هدف محمود يُتوخَّى منه الفائدة التي تصلح للمجتمع، لا أن تخالف الأدب أو تتقاطع مع الحق.

المطلب الخامس: قصة صاحب الجنتين

قال - تعالى-: {**وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا {٤٢} وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا {٤٣}هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**} (الكهف: ٤٢- ٤٤).

يخبر الله – تعالى - عن رجلٍ آتاه جنتين من أعناب، كلتا الجنتين آتت أكلها، وأنعم الله – تعالى - عليه بالثمار جميعاً، وأوجد له فيهنّ نهراً، ولكنه كفر بنعمة الله – تعالى - وظلم نفسه، وأنكر البعث وقيام الساعة، وقد كان الله – تعالى - له بالمرصاد؛ فأحيط بثمره، وأصبح نادمًا على ما أنفق في عمارتها، وقد خوت على عروشها، وتذكر موعظة صاحبه، فعلم أنه أُتيَ من جهة كفره وطغيانه، فتمنى لو لم يكن مشركاً، حتى لا يهلك الله – تعالى - بستانه حين لم ينفعه التمني) (النسفي، ١٩٩٥، ج٢، ص١٦).

وأنت تجد أن هذا الذي جرى مع صاحب الجنتين كان وسيلة إرشادية موجهة، الهدف منها تقويم سلوكه، وتنبيهه إلى الارعواء أي:الرجوع عن أفكاره وتصوراته المغايرة للحق، وأداة هذه الوسيلة بين يديه، وقد كانت مباشرةً أمام ناظريه، وهنا يُدرك أن الوسيلة التعليمية ينبغي أن تكون مباشرةً محسوسة.

وقد ربط القرآن الوسيلة بغايتها، حيث قال – تعالى-: {**هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا**}[الكهف: ٤٤].

والمعنى: (في ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده، لا يملكها غيره ولا يستطيعها أحد سواه، أو في مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر) (النسفي، ١٩٩٥، ج٢، ص١٦-١٧ بتصرف).

فالذي جرى درسٌ تعليميٌ بوسيلةٍ تعليميةٍ، الهدف منها تغيير التصورات، وقلب المفهوم، وقد حصل المقصود ؛ أي تغير التصّور بصورة تطبيقية، وهذا أبلغ من الموعظة النظرية التي وعظها الرجل الصالح لصاحب الجنتين: {**فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا {٤٠} أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا**} (الكهف:٤٠-٤١).

فالمعاينة أقوى في التعليم من الإخبار، وبذلك فإن الوسيلة التعليمية هنا بالإضافة إلى كونها مباشرةً محسوسةً فقد جرت فيها المعاينة لما سبق الإخبار به، فالنتيجة تتمكن في النفس أفضل تمكُّن، والهدف يترسّخ في القلب والذهن أقوى ما يكون الرسوخ.

المطلب السادس:قصة سيدنا موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح.

قوله – تعالى -: {**فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا {٧١} قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {٧٢} قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا {٧٣} فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ**

نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا {٧٤} قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {٧٥} قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا {٧٦} فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا {٧٧} قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا} (الكهف: ٧١-٧٨).

هذه الآيات الكريمة خبرُ سيدنا موسى - عليه السلام - مع العبد الصالح الذي علمه الله – تعالى - علمًا من لدنه، وآتاه رحمة من عنده، حيث اصطحبه سيدنا موسى-عليه السلام - ليتعلم منه مما أتاه الله – تعالى - من فضله، ولكن هذا العبد الصالح شرط عليه أن يصمت ولا يسأل عن شيء حتى يحدث له علمًا وذكرًا، وأول أمر صنعه هو: خرق السفينة التي كانت لمساكين يعملون في البحر، وبعد ذلك لقي غلامًا فقتله من غير سبب ظاهر لقلته، ثم أصلح جدارًا كان يريد أن ينقضَّ وينهدم، ثم أفصح بعد ذلك عن سرِّ صنيعه، فأخبر أن السفينة كانت معرضة لأن يأخذها ملك غاصب من عادته أخذ السفن الصالحة، فعمل خرقًا فيها ليرغب عنها ذلك الملك، وأما الغلام فكان من شأنه أنه سيرهق أهله طغيانًا وكفرًا، وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة، وكان أبوهما صالحًا، وتحت هذا الجدار كنز، فالهدف من الإبقاء على هذا الجدار صالحًا أن يحتفظ بكنزه إلى حين يكبر فيه هذان الغلامان فيستخرجا كنزهما.

وهذه وسائل تعليمية إرشادية بين معلّمٍ مرشدٍ ومتعلّم متلقٍّ، وقد علق الإمام الغزالي في إحيائه على هذه الآيات فقال: (وقد نبه الله – تعالى- بقصة الخضر وموسى - عليهما السلام- حيث قال الخضر: {**قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا {٦٧} وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا**} [الكهف: ٦٧] ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال: {**قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا**} [الكهف:٣٠] ثم لم يصبر، ولم يزل في مراودته إلى أن كان ذلك سبب الفراق بينهما، وبالجملة كل متعلّم استبق لنفسه رأيًا، واختيارًا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالإخفاق والخسران، فإن قلت: فقد قال الله تعالى: {**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**} (الأنبياء: ٧)، فالسؤال مأمور به، فاعلم أنه كذلك، ولكن فيما يأذن المُعلّم في السؤال عنه، فإن السؤال عما لم تبلغ مرتبتك إلى فهمه مذموم، ولذلك منع الخضر موسى-عليه السلام- من السؤال، أي دع السؤال قبل أوانه، فالمعلم أعلم بما أنت أهل له (الغزالي، د.ت، ج١، ص٦٨-٦٩).

وقد استشهد الغزالي بهذه القصة القرآنية لبيان أن (المعلم مهما أشار على المتعلّم بطريق في التعلُّم فليقلده وليدع رأيه، فإن خطأ مرشِده أنفع له من صوابه في نفسه؛ إذ التجربة تطلع على دقائق يُستغربُ سماعها مع أنه يعظم نفعها، فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة؛ ليزيد في قوته إلى حدٍّ يحتمل صدمة العلاج، فيعجب منه من لا خبرة له به) (الغزالي، د. ت،ج١، ص ٦٨). وكلام الغزالي هنا يناقش؛ لأنه ليس من الضروري أن يتابع الطالب معلمه في كل شيء وأن يوافقه في كل ما يقول؛ فقد يفوق التلميذ أستاذه في بعض القضايا، فبعض أصحاب المذاهب الأربعة تتلمذ بعضهم على يد بعض، وخالف بعضهم بعضًا في بعض المسائل، فلم ينكر بعضهم على بعض هذا الخلاف.

إن هذه الوسائل التعليمية الإرشادية في الآيات الكريمة بيّنت بالمثال العملي التطبيقي: أن فوق كل ذي علم عليم، وأن الخبرة متفاوتة، وأنه قد يطّلِع المفضول على ما لم يطّلع عليه الفاضل، وأن ترقّي البشر في سلّم التعليم والمعارف سُنّة إلهية ينكشف بعضها لبعضٍ دون غيرهم.

والذي صنعه العبد الصالح: أنه يجري الفعل أولًا، ثم يكشف النتيجة ثانيًا، وعلى هذا، فإن الوسيلة التعليمية قد تكون على نمطين:

أولًا: أن تنفذ الوسيلة بعد أن تحدد ملامحها، وتتضح بشكل عملي، وهذا ما حصل في قصة صاحب الجنتين على ما سبق بيانه.

ثانيًا: أن يجري تنفيذ الوسيلة العملية ثم تستخلص منها النتائج، وهذا ما حصل في الآيات التي جاء فيها خبر سيدنا موسى – عليه السلام - مع العبد الصالح؛ فهي تحمل في ثناياها فوائد استنتاجية، (ومن فوائد هذه القصة: أن لا يعجب المرء بعمله، ولا يبادر إلى إنكار ما لم يستحسنه؛ فلعل فيه سرًا لا يعرفه، وأن يدوام على التعلم، ويتذلل للمعلم، ويراعي الأدب في المقابل) (البيضاوي، د. ت ، ج٣، ص٢٣٤).

وهذا يفيد أن الوسيلة التعليمية قد تحقق أكثر من هدفٍ في آنٍ واحدٍ، وقد تكون أهدافها مباشرةً، وقد يكون لها أهداف غير مباشرة، تترك المجال للتفكير والبحث لاستخراجها واستنتاجها.

المطلب السابع: قصة سيدنا إبراهيم - عليه السلام - وتحطيم الأصنام

قال – تعالى-: {**فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ**} [سورة الأنبياء: ٥٨].

في هذه الآية الكريمة يخبر الله – تعالى - عما كان من أمر سيدنا إبراهيم -عليه السلام - حين أراد أن يحطم الأصنام، ويعلّم قومه الوثنيين أن هذه الأصنام لا تنفع ولا تضر، فاتخذ وسيلة عمليّة لإفهامهم عدم جدواها، حيث حطم أصنامهم، وترك أكبرها، فوضع أداة التحطيم وتقطيع الأصنام معلقة بيده، حتى إذا ماجاءوا ليحاجوه في ذلك أشار إليهم إلى الرجوع إلى كبير الأصنام؛ ليخبرهم بذلك، وأنه هو الذي قام بهذا العمل؛ لأنه لا يرضى أن يكون معه شركاء، وهذه لفتة عقلية تجعلهم يعيدون النظر في هذه الآلهة، وهذا ما تبرزه سورة الأنبياء: {**قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ {٦٢} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ {٦٣} فَرَجَعُوا إِلَى أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ {٦٤} ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاء يَنطِقُونَ {٦٥} قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ {٦٦} أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**} الأنبياء: ٦٢-٦٧.

وهذه الصورة العملية التي قام بها سيدنا إبراهيم -عليه السلام- تحتوي على ما يلي:

أ. تنبيه العقول وتحريك الفكر وإرشادها إلى الصواب، وهذا ما ينبغي أن تكون عليه الوسيلة التعليمية، حيث تؤدي إلى زيادة قدرة المتعلمين؛ إذ (إن المعلم ينبغي أن يختار من الوسائل

التعليمية أقربها إلى تحقيق الزيادة في قدرة التعلم على التأمل والملاحظة والتفكير العملي، وتنمي فيه الإبداع في حل مشاكله، ومن ثم يكون أثر الوسيلة في التشويق وإثارة إهتمام المتعلمين، وما يمكن أن تثيره من نشاطات لها مضامينها وتطبيقاتها العملية) (د.عبدالقادر المصراتي،١٩٩٧م ،ص١٠٠).

ب. إقامة الحجة بالواقع العملي، فهي وسيلة عملية إثباتية من جهة، وإرشادية من جهةٍ أخرى؛ إثباتيةٌ تدل على عدم قدرة الأصنام على النفع والإضرار، وعدم قدرتها على دفع الأذى عن نفسها فضلًا عن دفعه عن الآخرين، وإرشادية موجهة لاستخدام العقل والتفكير المنطقي في معالجة الأشياء، والحكم على الأمور.

وهذه الوسيلة تحمل الإجابة عن تساؤلاتٍ عقليةٍ وافتراضات فكريَّةٍ، والإجابة قاطعةٌ غير محتملة، وهكذا شأن الوسيلة التعليمية؛ أن تكون إجابة شافية على الاحتمالات والاقتراضات الفكريَّة.

وعلى هذا فإن الوسيلة التعليمية لا بد أن يختار لعملها وتنفيذها مكانًا مناسبًا، ووقتًا مناسبًا أيضًا؛ لتكون ناجحة في النتيجة، وكذلك ترى حسن التخطيط للوسيلة قبل عملها؛ حيث اختار سيدنا إبراهيم - عليه السلام - التوقيت المناسب، وهو اجتماع القدر الأكبر من الناس في يوم عيدهم، ليأخذ الدرسَ منها هذا العدد، وليكون أمرها مشهودًا لدى الناس، كما أفصحت سورة الصافات عن ذلك، قال تعالى: {**فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ** {٨٨} **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ** {٨٩} **فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ** {٩٠} **فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ** {٩١} **مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ** {٩٢} **فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ** {٩٣} **فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ** {٩٤} **قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ** {٩٥} **وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**} [الصافات: ٨٨-٩٦]

(وقد كان قصد سيدنا إبراهيم -عليه والسلام - إيهامهم أنه قد استدل بأمارةٍ في النجوم على أنه سقيم؛ أي مشارف للسقم؛ وهو: الطاعون، فهربوا منه إلى معبدهم مخافة العدوى، وتركوه في بيت الأصنام) (أبو السعود، ١٩٩٤، ج٧، ص١٩٧).

وقد أثبت لهم سيدنا إبراهيم – عليه والسلام - الفرصة أن الآلهة لا تضر ولا تنفع، ولا تملك أن تدافع عن نفسها، فجعل يضربها بقوته ونشاطه، حتى جعلها جذاذًا، إلا كبيرًا لهم لعلهم يرجعون إليه، ولما سأله الناس عن ذلك قال: {**قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ**}[الأنبياء: ٦٣]، وقال هنا: {**أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ**} [الصافات: ٩٥]؛ أي: تنحتونه بأيديكم وتصنعونه، فكيف تعبدونهم وأنتم الذين صنعتموهم، وتتركون الإخلاص لله؟) (السعدي، ١٩٩٩، ص٦٥١).

وقد اختار سيدنا إبراهيم – عليه السلام – لهذه الوسيلة التعليمية التوقيت المناسب، وهو اجتماع القدر الأكبر من الناس في يوم عيدهم، ليأخذ الدرس منها هذا العدد، وليكون أمرها مشهودًا لدى الناس.

ويستفاد من هذا أنه لا بد من عمل الوسيلة التعليمية عند وقت الحاجة قبل فوات أوانها.

المبحث الثاني: منهج القرآن الكريم في تقديم الوسائل التعليمية الإثباتية (البرهانية)

يقدم القرآن الكريم بعض الوسائل التعليمية في مقام البرهان والإثبات على قضيةٍ يكون لها أثرٌ عظيمٌ في نفوس المخاطبين، وبالنموذج العملي تتمكّن العبرة والنتيجة في تلك النفوس فضل تمكن، وتترسخ في العقول رسوخًا أكيدًا.

وفي هذا الجانب عرض لبعض هذه الوسائل التي جاءت في القرآن كإثبات ودليل على قضية معينة.

المطلب الاول: قصة الذين حرجوا من ديارهم حذر الموت

قوله – تعالى – {**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ**} [البقرة ٢٤٣].

هذا خبر قوم خرجوا من ديارهم (قيل: وقع في قريتهم طاعون فخرجوا منه هاربين، وقيل: هم قوم من بني إسرائيل دعاهم ملكهم إلى الجهاد، فهربوا حذرًا من الموت، فأماتهم الله – تعالى) (أبو السعود، ١٩٩٤، ج٢، ص٢٣٧ بتصرّف).

ومضمون هذه الآيات: (إن الموت حيث لم يكن منه بد، ولم ينفع منه المفر، فأولى أن يكون في سبيل الله – تعالى- ؛ إن الله لذو فضل عظيم) على الناس قاطبة، أما أولئك فقد أحياهم ليعتبروا بما جرى عليهم فيفوزوا بالسعادة العظمى، وأما الذين سمعوا قصتهم فقد هداهم إلى مسلك الاعتبار والاستبصار) (أبو السعود، ١٩٩٤، ج٢، ص٢٣٨ بتصرّف).

وإذا تأملت هذه الوسيلة التعليمية، ترى أن هؤلاء فروا من الموت من طريقٍ فوجوده في طريقٍ آخر، وبعد أن كتب الله – تعالى - لهم الحياة من جديدٍ فهموا - بطريق الاعتبار، ومن جانب عملي - أن ما قدَّره الله – تعالى - كائنٌ، فوقع لهم الإثبات والدليل على أن قدرة الله – تعالى- لا يحدها حدّ، وأن الأجل محتوم لا يتبدل، وأن ما قدَّره الله –تعالى- كائنٌ لا ينفع منه حذرٌ ولا هروبٌ.

وهذه وسيلة تعليمية جعل القرآن أداتها الذين وقع عليهم الفعل أنفسهم لهم، فأصدق ما يكون الاعتبار، وأفضل ما تكون النتائج: تلك التي يلابسها أصحابها ويلمسها المعنيّون بالقضية؛ إذ تكون أنفع لهم، وأوقع في النفس مما لو أجريت لغيرهم؛ لمعاينتهم لها، وتحققهم من أثرها فيهم.

وهذه الوسيلة إثباتية برهانية حققت الهدف منها، وعمت نتائجها أفرادها وكل من سمع بها، وتناهت إلى بصيرته.

المطلب الثاني : قصة الذي مَرّ على قرية وهي خاوية على عروشها

قال - تعالى -: {**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل**

لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ٢٥٩].

هذا موقف من أعجب المواقف التي أخبر القرآن بها، حيث يكشف عن قدرة الله – تعالى - على البعث بعد الإماتة، رجلٌ مر على قريةٍ خاويةٍ على عروشها، يسأل استعظامًا واستعجابًا، لا استبعادًا وإنكارًا عن كيفية إحياء الله – تعالى - لهذه القرية بعد موتها، وكانت الإجابة أن مات هذا الرجل مائة عام لا عن استيفاء أجله الكامل، ثم أحياه الله – تعالى - بعد الموت، ثم جاءه السؤال: كم لبثت؟ فكانت إجابته يومًا أو بعض يوم، ولكن الجواب أن مدة لبثه مائة عام، ثم طُلِبَ من هذا الرجل أن ينظر إلى حماره الذي كان معه قبل الموت، وقد بليت عظامه، ولينظر إليه، ليشهد مشهدًا من البعث كيف دبَّت الحياة في حماره ثم قويت العظام، وتماسكت وارتفعت عن الأرض ثم كُسِيَتَ لحمًا، والطعام ما زال كما هو لم يتغير لونه ولا طعمه، فلما ظهر له ذلك ازداد يقيناً بأن الله – تعالى - على كل شيء قدير. قال السعدي: (هذا أيضاً دليل آخر على توحّد الله بالخلق والتدبير والإماتة والإحياء). (السعدي، ٢٠٠٠م، ص١١٢).

والمقام هنا مقام بيان آية من آيات الله –تعالى- في البعث بعد الموت على جهة الحقيقة.

فهذه الوسيلة العملية التي قدمت لهذا الرجل السائل عن كيفية إحياء الله – تعالى - للقرية الخاوية على عروشها بعد موتها تَجد فيها ما يلي:

١. هي جوابٌ عقب تساؤل، حيث طال زمن إجابته إلى غرضه (فأماته الله) والفاء تعقيبيّة.
٢. إن مادة الوسيلة هي السائل نفسه، وبعض ما يتعلق به من طعام وشراب ورَكُوبه، فمادة الوسيلة متوفرة.
٣. استخدام عنصر الزمن (مائة عام)، والزمن هنا يبدو كثيرًا بالنسبة للسائل ولمن يصله الخطاب.
٤. الرؤية البصرية والمعاينة لتنفيذ الوسيلة.
٥. النتيجة والخلاصة والهدف من الوسيلة كان هو الخاتمة، وقد تبين ذلك للسائل نفسه.
٦. تعميم الحكم الناتج عن هذه الوسيلة الإثباتية (ولنجعلك آية للناس).

وبذلك فإن الوسيلة التعليمية - كما يقرر القرآن هنا- ينبغي أن تكون مجيبة عن التساؤل المقصود ابتداءً، وأن تكون في وقتها، وأن تتوفر لها الأداة، وأن يكون عامل الزمان فيها مؤثرًا، وأن تكون محسوسة معاينة ليس على سبيل الافتراض والاحتمال؛ لأن الحس يقوي الحكم على الشيء ويعزِّزه، وأن تكون الوسيلة التعليمية منتجة تعمُّ نتائجها أفراد القضية، لا تتخلف عن أحد منهم، بل تنتظمهم جميعاً في سلكها.

المطلب الثالث: طلب سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى

قال – تعالى -: {**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِـي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**} [البقرة: ٢٦].

في هذه الآية الكريمة يخبر الله – تعالى ـ عمَّا كان من شأن سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام ـ الموقن بالبعث والحشر، فقد طلب إبراهيم -عليه السلام- من الله – تعالى ـ أن يريه كيفية إحياء الموتى؛ من خلال نموذج تظهر فيه معاينة اليقين، ويصل به إلى طمأنينة القلب بتلك المشاهدة، فأرشده الله – تعالى ـ إلى أن يأخذ أربعة من الطير، ويضمَّهن، ويذبحهنَّ ويفرق أجزاءهنَّ على الجبال التي حوله، ويدعوهنّ، فإذا دعاهنَّ يأتينه سعيًا أحياءً كما كانت، وعندها يرى قدرة الله – تعالى ـ على الإحياء بعد الإماتة، (وقد كان طلب الخليل -عليه الصلاة والسلام- رؤية كيفية احياء الموتى بعينيه طلبًا للطمأنينة فيما تنزع إليه نفسه القدسية من معرفة خفايا أسرار الربوبية، لا طلبًا للطمأنينة في أصل عقد الإيمان بالبعث الذي عرفه بالوحي والبرهان دون المشاهدة والعيان). (رضا ،٢٠٠٢م،ج٣، ص٤٩).

وقد اختلف العلماء: هل فعل سيدنا إبراهيم – عليه السلام ـ هذا الإرشاد أو لم يفعل، فذهب كثيّرمنهم إلى أنه ناداها ميتة متفرقة الأجزاء فعادت كل واحدة منهن إلى ما كانت عليه من الهيئة، فقد أراد ان يريه الله كيف يحيي الموتى ، وظاهر الآية يدل على انه أجيب إلى ذلك. (الرازي، د.ت، ج٧، ص٣٨).

وذهب آخرون إلى أنه لم يفعل شيئًا مما اقتضاه ظاهر الكلام، إذ كان الغرض مجرد تعليم، وسيدنا إبراهيم – عليه السلام ـ حصل له العلم التام بمجرد وصف الكيفية، و اطمأن قلبه وسكن لبّه، ولهذا لم يذكر الله – تعالى ـ ما ترتب على هذه الأوامر من تلك الأمور، ولم يتعرض للامتثال ولم يشر إليه. (الآلوسي، ١٤١٥هـ،ج٢، ص٢٩).

والذي يظهر أن هذا الإرشاد الإلهي قام في نفس إبراهيم – عليه السلام ـ مقام الفعل، وكأنه قد حصل منه بالفعل؛ إذ هذا الإرشاد يصور الأمربصورة المشاهد المحسوس لدى إبراهيم -عليه السلام- ، فعدم الفعل هو الأليق بجنابه -عليه الصلاة والسلام- .

وهذه الوسيلة الإثباتية يظهر منها ما يلي:

أ. السؤال يكون عامًا والجواب أنموذجًا، فالسؤال عن كيفية إحياء الموتى بشكل عام، والجواب أنموذج يقاس عليه، ففي الوسيلة التعليمية قد يكون النموذج صالحًا لأن يعمم على جميع النماذج الأخرى. فالطير هنا: أنموذج لنوع من الأدوات تفرقت على أربعة أجبل، (قال قتادة والربيع: المعنى: واجعل على أربعة أجبل على كل جبل جزءًا من ذلك المجموع المقطَّع، فكما يبعث الله ـ تعالى- هذه الطير من هذه الجبال، فكذلك يبعث الخلق يوم القيامة من أرباع الدنيا وجميع أقطارها) (ابن عطيه، ٢٠٠١،ج١، ص ٣٥٥).

ب. تحديد النموذج لحكمة وهدف، فاختيار الطير دون غيره لسبب، إذ (خص الطَّير؛ لأنه أقرب إلى الإنسان، وأجمع لخواص الحيوان) (البيضاوي، ١٩٩٩، ج١، ص١٧٣).

ج. لا بد من التأمل في الوسيلة التعليمية وحسن التركيز فيها، وهذا ما يمثله قوله تعالى: (فصرهن إليك)،ومعنى ذلك: (فأَمِلْهُنَّ إليك؛ واضممهنَّ إليك لتتأملها وتعرف شتاتها؛ لئلا تلتبس عليك بعد الإحياء) (البيضاوي، ١٩٩٩، ج١، ص١٧٣). ولا شك أنَّ معرفة الأداة قبل الوسيلة، ومعرفة خصائصها، ومعرفتها قبل إجراء الوسيلة يعين على التدقيق في أحوالها والتغيرات التي حصلت لها، وهذا أمر مهم في متابعة العمل العملي.

د. لا بد من مراعاة ترتيب الأحوال في تنفيذ الوسيلة التعليمية، فإن إحضار الطير ثم إمالتهن إليه، ثم تقطيعهنَّ، ثم توزيعهنَّ على الجبال ثم دعوتهنَّ للإتيان، كل هذا يفيد أن الوسائل التعليمية لا بد لها من خطوات عمليةٍ دقيقةٍ مترتبةٍ ترتبًا منطقيًا ؛ لتؤتي النتائج منطقية.

ه. بناء النتائج القاطعة على الوسيلة الصحيحة {**وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**}، قال ابن عطية: (ثم وقف - عليه السلام - على العلم بالعزَّة التي في ضمنها القدرة، وعلى الحكمة التي بها إتقان كل شيء) (ابن عطيه، ٢٠٠١، ج١، ص٣٥٥). فالوسائل الدقيقة تؤتي النتائج القاطعة والاستنتاجات الصحيحة، التي ترتكز في النفس والوجدان، وتقنع العقول إقناعًا تامًا.

و. الربط بين الوسائل التعليمية وحسن التسلسل فيها حسب القضية التي تتطلبها.

وهذه الوسيلة الإثباتية في قصة سيدنا إبراهيم -عليه السلام - قد جاءت عقب الوسيلة الإثباتية في قصة الرجل الذي مر على قريةٍ وهي خاوية على عروشها، وهذه جاءت عقب محاجَّة النمرود لسيدنا إبراهيم -عليه السلام - في شأن الإحياء والإماتة،فما السر في هذا الترتيب؟ إن مناسبة هذه الآية لما قبلها في غاية الظهور؛ (إذ كلاهما أتي بها دلالة على البعث المنسوب إلى الله – تعالى - في قول إبراهيم للنمرود (ربي الذي يحيي ويميت)، لكن المار على القرية أراه الله – تعالى - ذلك في نفسه وفي حماره، وإبراهيم أراه ذلك في غيره، وقدمت آية المار على آية إبراهيم - وإن كان إبراهيم مقدمًا في الزمان على المار- ؛ لأنه تعجب من الإحياء بعد الموت، وإن كان تعجبُ اعتبارٍ، فأشبه الإنكار وإن لم يكن إنكارًا، فكان أقرب إلى قصة النمرود وإبراهيم، وأما إن كان المار كافرًا فظهرت المناسبة أقوى ظهور، وأما قصة إبراهيم فهي سؤالٌ لكيفية إرائة الإحياء؛ ليشاهد عيانًا ما كان يعلمه بالقلب وأخبر به نمرود) (أبو حيان، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٩٦-٢٩٧).

المطلب الرابع: قصة أهل الكهف وبعثهم بعد موتهم

قال تعالى-: {**رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا** {١٠} **فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا** {١١} **ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**} [الكهف: ٩-١٢]

هذا خبر أهل الكهف الذين فرُّوا بدينهم، واعتزلوا النّاس، والتجأوا إلى الله –تعالى-؛ طلبًا لنصرته، فدخلوا كهفًا، وضرب الله –تعالى- على آذانهم سنين عدتها ثلاثمئة وتسع، (فضربنا على آذانهم) (صلح كناية؛ لأن الصوت والتنبيه طريق من طرق إزالة النوم، فسدُّ طريقه يدل على استحكامه) (الآلوسي، د. ت، ج١٥، ص٢١٢).

وقد سخر الله – تعالى - لهم من سبل الحماية والرعاية ما كان عجبًا، (فالشمس تميل عن كهفهم ذات اليمين والشمال، أما موقفهم فهم في متسع الكهف، وفي ذلك عون على حفظ أجسادهم على حالة صحيةٍ بعيدةٍ عن العفونة والرطوبة، وتُوِّجت الآيات العظيمة بآيةٍ أعظم، وهي إضفاء الحماية المعنوية عليهم؛ بإلقاء الرعب في قلب كل من اطّلع عليهم أو حاول الاقتراب منهم) (النجار، د. ت، ص١٣٨).

ثم بعث الله – تعالى- هؤلاء الفتية بعد هذا النوم العميق، وقد اختلف العصر والبيئة والمكان، و اكتشف أمرهم بواسطة ما كان بين أيديهم من عملة الفضَّة التي مضى عليها ثلاثمئة وتسع سنين.

وفي هذه الآية وسيلة عملية إثباتية لأهل الكهف أنفسهم، ولأهل زمانهم بعد بعثهم، ولكل من وصله العلم بهم على قدرة الله – تعالى- على حماية عباده ونصرتهم، ونموذج للبعث بعد الموت باعتبار النوم جزءًا من الموت.

وقد جاء اختيار هذه الوسيلة التعليمية الإثباتية متناسبًا مع الهدف والغاية من جهتين:

أ. تهيئة المناخ المناسب لمكوث الفتية كما ذكر سابقًا.

ب. مراعاة المدة الزمنية للمكوث في الكهف، فقد لبثوا ثلاثمئة سنةٍ وتسع، وهذه مدةٌ كافيةٌ في تغيّر حضاراتٍ وانتهائها، وابتداء حضارات جديدة، وهنا ذهبت حضارة الوثنية التي فر منها هؤلاء الفتية، وظهرت حضارة تدين بعبادة الله وحدة {**قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا**} [الكهف: ٢١].

بينما في شأن الرجل الذي مر على قريةٍ وهي خاوية على عروشها كانت المدة الزمنية لموته مائة عام، وهذه المدة كافية لتحلل الأشياء الحية بعد موتها.

ومن هنا فإن الوسيلة التعليمية لا بد أن يُوفَّر لها المناخ المناسب لتنفيذها، والظرف الذي يساعد على تحقيقها، وأن تكون المدة الزمنية في الوسيلة التعليمية متوافقةً ومتناسبةً مع تحقيق الهدف منها.

الخاتمة

فقد قدم الباحثون جهدهم في هذا البحث، وحاولوا ما استطاعوا أن يبرزوا القضايا التربوية والتعليمية التي اشتملت عليها آيات القصص القرآني، وقد ظهرت لدى الباحثون جملةً من النتائج والاستنتاجات وهي كما يلي :

أولًا: حدد الباحثون تعريفًا إجرائيًا للوسائل التعليمية التي تضمنها القصص القرآني وهو: أنها أدوات تستخدم كمصادر للتعلم اشتملت عليها آيات القصص القرآني، وتحدد إجرائياً من خلال تحليل الآيات القرآنية التي اشتملت على هذه الأدوات.

ثانيًا: قدم القرآن صورًا من التعليم العملي، وهذا التعليم له وجودٌ متحققٌ في الخارج على نحو من الطرق، أو الوسائل التي يصل بها الحدث إلى غايته المطلوبة.

ثالثًا: الوسائل التعليمية التي ظهرت من خلال آيات القصص القرآني على نوعين:

أ. الوسائل التعليمية الإرشادية، وهي موجِّهة ترشد إلى الطريق الأمثل في سلوك الطريق الذي يُراد لفت النظر إليه.

ب. الوسائل التعليمية الإثباتية (البرهانية)، وهذه يثبت من خلالها للمخاطب برهانٌ أو دليلٌ أو شيءٌ أراده أو دليلٌ على خلاف ما اعتقده أو ما ساوره الشك بشأنه.

رابعًا: للقرآن الكريم منهج في تقديم الوسائل التعليمية الإرشادية والإثباتية من خلال القصص القرآني، حيث تمثل ذلك في عده جوانب من أهمها:

أ. يربط الوسيلة التعليمية بهدفها وغايتها.

ب. يقرب الفكره للأذهان بأسلوب مقنع.

ج. يختار الوسيلة التعليمية المناسبة لأذهان المخاطبين وعقولهم.

د. يختار الوقت والمكان المناسبين لتوضيح الوسيله التعليمية وبيانها.

ه. يجعل الوسيله التعليمية أداة تميز، ومقياسًا من مقاييس رفع الدرجات.

و. ينوع في الوسائل التعليمية تبعًا للموضوع والغاية، وتبعًا لوسائل الإقناع والإرشاد المختلفة.

ز. يرشد إلى ضرورة التكامل بين الوسائل التعليمية المتنوعة.

ح. الوسيلة التعليمية كانت مباشرةً محسوسة ليس فيها غموض أو لبسٌ.

ط. هناك فوائد وحقائق تظهر من خلال الوسيلة التعليمية بنوعيها الإرشادي والإثباتي منها: أن فوق كل ذي علم عليم، وأن الخبرة البشرية تتفاوت في المعرفه، وأنه قد يطلع المفضول على ما لا يطلع عليه الفاضل، وأن ترقّي البشر في سلّم التعليم والمعارف سنةٌ إلهيةٌ ينكشف بعضها لبعض دون غيرهم.

ي. قد تنفّذ الوسيلة التعليمية بعد تحديد ملامحها، وتتضح بشكلٍ نظري، وقد يجري تنفيذ الوسيلة التعليمية، ثم يستخلص منها النتائج.

ك. قد تحقق الوسيلة التعليمية أكثر من هدفٍ في آنٍ واحدٍ، وقد تكون أهدافها مباشرةً، وقد يكون لها أهدافٌ غير مباشرةٍ؛ تترك المجال للتفكير والبحث لاستخراجها واستنتاجها.

ل. مراعاة ترتيب الأحوال في تنفيذ الوسيلة التعليمية، ووفرة أدواتها.

م. الوسائل التعليمية الدقيقة تؤدي إلى النتائج القاطعة، والاستنتاجات الصحيحة التي ترتكز في النفس والوجدان، وتقنع العقول إقناعًا تامًا.

قائمة المصادر والمراجع

- الآلوسي، محمود شكري. (د. ت). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. د. ط. دار إحياء التراث العربي. بيروت. تحقيق:علي عبدالباري عطية.(١٤١٥هـ). دار الكتب العلمية.بيروت.
- البغوي، الحسين بن مسعود. (١٩٩٧م). معالم التنزيل. تحقيق: محمد عبدالله النمر. د.ن. ط٤. دار طيبة للنشر.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (١٩٩٩م). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (د. ت). أنوار التنزيل وأسرار التأويل وبهامشه حاشية الكازروني. د. ط. مؤسسة شعبان. بيروت.
- أبوجابر، ماجد. (١٩٩١م). "اختيار الوسيلة التعليمية المناسبة لموقف تعليمي محدد". المجلة العربية التربية.
- حمدان، محمد زياد. (١٩٨١م). الوسائل التعليمية: مبادؤها وتطبيقاتها. د. ط. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- أبوحيان، محمد بن يوسف. (١٩٩٠م). البحر المحيط. ط٢. بيروت. (٢٩٦/٢-٢٩٧).
- الرازي، محمد بن عمر. (د.ت). مفاتيح الغيب. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- رضا، انور طاهر. (١٩٨٨م). "سلوك أعضاء هيئة التدريس واتجاهاتهم نحو الوسائل التعليمية: دراسة مقارنة". المجلة التربوية.
- رضا، محمد رشيد. (٢٠٠٢م). تفسير القرآن العظيم المعروف بتفسير المنار. ط١. تعليق: سمير رباب. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. (١٩٩٩م). تيسير الكريم الرحمن. ط١. مؤسسة الرسالة. بيروت.
- أبو السعود، محمد بن محمد. (١٩٩٤م). إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم. ط٤. دار إحياء التراث العربي. بيروت.
- سلامة، عبد الحافظ محمد. (١٩٩٦م). وسائل الاتصال والتكنولوجيا في التعليم. ط١. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. عمان.
- السيد، محمد علي. (١٩٧٩م). الوسائل التعليمية. ط ٢. د. ن.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (١٩٨٠م). الإكليل في استنباط التنزيل. ط٢. تحقيق: سيف الدين الكاتب. دار الكتب العلمية. بيروت.
- شايب، محمد أحمد. (١٩٨٧م). "إعداد بعض النماذج العملية في الوسائل التعليمية واستخدامها في عملية التعليم والتعّلم". منشورات مركز البحث والتطوير التربوي. جامعة اليرموك. الأردن:
- شايب، محمد أحمد. (١٩٨٧م). "أهمية الوسائل التعليمية واستخدامها في التعليم". منشورات مركز البحث والتطوير التربوي. جامعة اليرموك. الأردن.
- أبو شريخ، شاهر ذيب. (٢٠٠٥م). الأساليب التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم. ط١. دار جرير للنشر. عمان.
- طوالبة، محمد عبدالرحمن. (٢٠٠٠م). "الوسائل التعليمية في الفكر التربوي الإسلامي". مجلة جامعة الملك عبدالعزيز.العلوم التربوية. ١٣/٤٧-٧٦.
- الطوبجي، حسين. (١٩٨٤م). الوسائل التعليمية الحديثة والتكنولوجيا ودورها في التربية والتعليم. د. ط. دار القلم. الكويت.
- ابن العربي، أبو بكر بن عبد الله. (١٩٦٧م). أحكام القرآن. ط٢. تحقيق: محمد البجاوي. دار الفكر. بيروت.
- ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (٢٠٠١م). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط١. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. دار الكتب العلمية. بيروت.
- الغزالي، محمد بن محمد. (د. ت). إحياء علوم الدين. د. ط. دار الجيل. بيروت.
- القاضي، عبدالفتاح. (د.ت). البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدّرّي. د.ط. دار الكتاب العربي. بيروت.
- قسطندي، نقولا أبو حموده. (١٩٨٣م). الوسائل في عملية التعلم والتعليم. د. ط. المطابع التعاونية. عمان.
- ابن قيم، الجوزية. (١٩٧٣م). إعلام الموقعين عن رب العالمين. د. ط. دار الجيل. بيروت.
- المصراتي، عبد القادر. (١٩٩٧م). المعلم والوسائل التعليمية. ط١. الجامعة المفتوحة. ليبيا.
- مطاوع، إبراهيم عصمت. (١٩٧٧م). "التعليم العصري ومطالبه من الوسائل التعليمية والتكنولوجيا الحديثة". مجلة اتحاد الجامعات العربية. ١٢/٣٥-٤٤.
- النجار، جمال. (د.ت). تفسير سورة الكهف. د. ط. منشورات الأزهر. القاهرة.
- النسفي، عبدالله بن أحمد. (١٩٩٥م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل. ط١. ضبط: زكريا عميرات. دار الكتب العلمية. بيروت.